البحث الثامن

خيرية الأمة في الاجتماع ونبذ التفرق في الكتاب والسُّنَّة

تأليف

د/ عبد المجيد العساكر

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الفكرية

كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المملكة العربية السعودية

خيرية الأمة في الاجتماع ونبذ التفرق في الكتاب والسُّنَّة

عبد المجيد العساكر
قسم الدراسات الفكرية، كلية اصول الدين، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
البريد الالكتروني: aalasaker@imamu.edu.sa

الملخص:

إن من مظاهر خيرية الأمة اجتماعها على كتاب ربها، وسنة نبيها، ونبذها للتفرق؛ حيث لم تسلك سبيل الهالكين قبلهم؛ ولذا كان من أعظم الأوامر الإلهية، والشرائع السماوية، والوصايا النبوية الأمر بالاجتماع، والنهي عن الفرقة والخلاف، ولما كان الأصل في الإسلام وأهله الاجتماع لا الافتراق، والتعاون لا التصارع، والتآخي لا التعادي، والاتحاد والترابط لا التشتت والتباعد، فقد اخترت أن يكون هذا البحث في بيان عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بأمر اجتماع الأمة، والنهي عن التفرق، ويهدف هذا البحث إلى بناء تصور حول عناية القرآن والسنة باجتماع الأمة، وكذلك التحذير من مغبة الاختلاف وبيان خطره على الدين، وأيضا بيان ضرورة اجتماع الأمة على الأمر الأول الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، واستخدم الباحث عدة مناهج منها: المنهج الاستقرائي، والتحليلي، وأهم ما توصل إليه البحث: خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم، ومن مظاهر هذه الخيرية اجتماعهم ونبذ للتفرق، خلاف ما وقع فيما سبقهم من الأمم، وأن التفرق على قسمين: التفرق في الآراء والأديان، والتفرق في الأجساد والأبدان، وكذلك جعل الله تعالى التآخي بين المؤمنين وتأليف قلوبهم من نعمه التي امتن بها على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، كما عصم الله أمة محمد ﷺ أن تجتمع على ضلالة، كما عصمهم من ضياع الحق بهم؛ حتى لا يكون له وجود، بل لا بد من قائم بالحق، وأوصي الأئمة والخطباء والكُتَّاب بالعمل على جمع كلمة المسلمين، وتذكيرهم بضرورة نبذ التفرق والخلاف، وأوصي نفسي وجميع الأمة بالاجتماع على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وترك التحزُّب، والعودة إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والرعيل الأول من الأمة.

الكلمات المفتاحية: خيرية، الأمة، الاجتماع، التفرق، الكتاب والسنة.

The nation's goodness lies in coming together and rejecting division In the Qur'an and Sunnah

Abdul Majeed Al-Asaker
Department of Intellectual Studies, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia
E-mail: aalasaker@imamu.edu.sa

Abstract;

One of the manifestations of the nation's goodness is its unity in the Book of its Lord and the Sunnah of its Prophet, and its rejection of division. Where you did not follow the path of those who perished before them; Therefore, one of the greatest divine commands, heavenly laws, and prophetic commandments was the command to unite, and the prohibition of division and disagreement, Since the principle of Islam and its people is unity, not separation, cooperation, not conflict, brotherhood, not hostility, and unity and interdependence, not dispersion and separation, I have chosen for this research to be in explaining the concern of the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet regarding the matter of the nation's coming together and the prohibition of division. This research aims to build A perception about the interest of the Qur'an and Sunnah in uniting the nation, As well as warning against the consequences of disagreement and explaining its danger to religion, and also explaining the necessity of the nation coming together on the first matter that the Prophet, may God bless him and grant him peace, and his companions, may God be pleased with them, were upon. The researcher used several approaches, including: the inductive and

analytical approaches, and the most important findings of the research: this charity. nation over other nations, One of the manifestations of this charity is their coming together and rejecting division, contrary to what happened among the nations that preceded them, and that division is of two types: division in opinions and religions, and division in bodies and bodies. Likewise, God Almighty made brotherhood among believers and uniting their hearts from His blessings with which He was grateful to His Messenger, may God bless him and grant him peace. And peace be upon the believers, just as God protected the nation of Muhammad, may God bless him and grant him peace, from uniting on misguidance, just as He protected them from losing the truth to them; So that it does not exist, rather there must be someone who stands with the truth, and I advise the imams, preachers, and writers to work to unite the word of the Muslims, and to remind them of the necessity of rejecting division and disagreement, and I advise myself and the entire nation to unite on the Book of God Almighty, and the Sunnah of His Messenger, may God bless him and grant him peace, and to abandon partisanship and return. To what the Prophet, may God bless him and grant him peace, and his companions, and the first generation of the nation, were like.

Keywords: charity, nation, meeting, dispersal, Quran and Sunnah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي اصطفانا لنكون من أمة خير النبيين، وألَّف بدينه بين قلوب المؤمنين، وجمعنا على الشريعة الغراء، والدين الحنيف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي دعا إلى الحق المُبِين، ومحا الله به أمر الجاهلية، ودعواها العُمِّيَّة، وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين، وبعد

فإن الله تعالى اصطفى هذه الأمة على الأمم بهذا النبي ﷺ، وهذا الكتاب العزيز، وهذا المنهج الرباني، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذه الأمة هي أنفع الأمم للخلق، وأعظم الأمم منزلة عند الله تبارك وتعالى، وفي الحديث: «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»(١).

ومن مظاهر خيرية الأمة اجتماعها على كتاب ربها، وسنة نبيها، ونبذها للتفرق؛ حيث لم تسلك سبيل الهالكين قبلهم، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ووصف الله تعالى هذا التفرق الذي وقعت فيه الأمم السابقة بالبغي فقال: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الشورى: ١٤]، وما كان هذا التفرق إلا بمخالفتهم وابتداعهم(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي، في أبواب التفسير، باب: ومن سورة آل عمران، (٢٢٦/٥) رقم (٣٠٠١) وحسنه، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، (١٤٣٣/٢) رقم (٤٢٨٨)، وأحمد (٣/٥)، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،

ولذا كان من أعظم الأوامر الإلهية، والشرائع السماوية، والوصايا النبوية الأمر بالاجتماع، والنهي عن الفرقة والخلاف، والحث على هذا بكل سبيل موصل إليه من الأعمال والأقوال، والتعاون على ذلك قولا وفعلا، والنهي عن التفرق وتشتيت شمل المسلمين[1] كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فأمر الله المؤمنين بالألفة، ونهى عن الفرقة؛ لأن الفرقة هَلَكَة، والجماعة نجاة: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» هو الطاعة والجماعة، وهو القرآن، وهو الإخلاص والتوحيد، وهو الإسلام، كما قال المفسرون، وهذا شيء في النهاية واحد، سُمِّيَ ذلك حبلاً؛ لأن الممسك به ينجو كالمتمسك بالحبل في بئر وغيره، تمسكوا بحبل الله، السبب الذي يوصل إلى الله سبحانه وتعالى، وينجّيكم.

وقال النبي ﷺ آمرا بالجماعة وناهيا عن التنازع والفرقة: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ»[2] ثَلاثَ مِرَارٍ، إشارة إلى ما حصل لغيرنا من اليهود والنصارى وغيرهم في الافتراق، كما أخبر النبي ﷺ عن افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، أما هذه الأمة فينبغي لها أن تكون أمة واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (١٠١/١)، و «الاعْتِصَام»، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، ود سعد بن عبد الله آل حميد، ود هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٢٠٧/١).

(١) انظر: «رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف» عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨ م (ص١٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣١٤٥) وصحح إسناده شعيب الأرنؤووط، وأخرجه الترمذي في «سننه» (٢١٦٥).

وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ولما كان الأصل في الإسلام وأهله الاجتماع لا الافتراق، والتعاون لا التصارع، والتآخي لا التعادي، والاتحاد والترابط لا التشتت والتباعد، فقد اخترت أن يكون هذا البحث في بيان عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بأمر اجتماع الأمة، والنهي عن التفرق، والتحذير من مغبته، ووضعت له عنوان «خيرية الأمة في الاجتماع ونبذ التفرق في الكتاب والسنة»؛ فإنه لا يوجد دين ولا مذهب دعا إلى هذه الأمور، وعُني بها، وحرص عليها، كما هو الحال عليه في الإسلام.

راجيًا من الله تعالى القبول والسداد، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨].

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الموضوع في عدة أمور منها ما يلي:

١- ضرورة اجتماع أمة الإسلام على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

٢- ما ينتج عن التفرق والاختلاف من أضرار جسمية تفت في عضد الأمة، وتهدم بنيانها الشامخ.

٣- ربط القرآن الكريم والسنة النبوية أمر الاجتماع بقيام الدين، وربطهما أمر التفرق والتَّحزُّب بالعودة إلى حياة الجاهلية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى عدة أهداف منها:

١- بناء تصور حول عناية القرآن والسنة باجتماع الأمة.

٢- التحذير من مغبة الاختلاف وبيان خطره على الدين.

٣- بيان ضرورة اجتماع الأمة على الأمر الأول الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

أسباب اختيار الموضوع:

١- حاجة الأمة إلى جمع الكلمة.

٢- ضرورة بيان مقتضيات خيرية الأمة والتي من أهمها الاجتماع ونبذ التفرق.

٣- الحاجة إلى معرفة معني التفرق، وحقيقة الأمر الذي يجب أن تجتمع عليه الأمة المحمدية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن عدة أسئلة أهمها ما يلي:

١- ما مكانة الاجتماع وترك التحزب والتفرُّق في الإسلام؟

٢- كيف ربط القرآن الكريم والسنة المطهرة بين خيرية الأمة وبين الاجتماع ونبذ التفرق؟

٣- ما أضرار التفرق ومفاسده؟

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي وقفت عليها حول الافتراق:

١- **«الافتراق وآثاره على الأمة»**، د عثمان علي حسن، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٨) رمضان ١٤٣٢ هـ - أغسطس ٢٠١١م.

وقد دار البحث حول عناية الإسلام بالاجتماع واعتصام الأمة، وأن ذلك هو مصدر قوتها، والتفرق وما نتج عنه من مفاسد وأضرار، وقد تطرقت في هذا البحث لهذا الشأن، وكان في بحثي إضافة حول بيان أن الاجتماع ونبذ التفرق من مظاهر الخيرية التي وصف الله تعالى بها أمة محمد ﷺ.

٢- **«الافتراق والاختلاف بين الأسباب والنتائج»**، د/ رفاعي ممدوح عبد النبي عرابي، مدرس العقيدة والفلسفة جامعة الأزهر، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات والإسكندرية، المجلد السابع العدد الثاني، وتناول البحث الفرق بين الاختلاف المحمود والافتراق المذموم، وذكر نتائج الافتراق والاختلاف، أما بحثي فإنه يدور حول الافتراق المذموم وبيان ما يضاده من الاجتماع على الكتاب والسنة، وأن ذلك من

مظاهر خيرية الأمة المحمدية.

٣- **الأمر بالاجتماع والائتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف**، الشيخ عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، وهو بحث على شبكة الإنترنت، يدور حول ما ورد من الآيات والأحاديث في الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرُّق، وقد تعرض بحثي لهذا الصدد أن الاجتماع ونبذ التفرق من الأمور التي أناط الله تعالى بها خيرية الأمة.

٤- «**رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف**» للشيخ المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، سطرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ موجها فيها النصيحة لعموم الأمة، وحاثا لها على اجتماع كلمتها، ومحذرًا لها من التفرق والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والبغضاء.

هذا وأسأل الله تعالى أن يكون بحثي هذا إضافة إلى المكتبة الإسلامية، وأن ينفع الله تعالى به كاتبه وقارئه، وأن يتقبله مني، ويجعله لي زخرًا يوم القدوم عليه.

خطة البحث:

قسمتُ البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وبينت فيها فضيلة هذه الأمة، وأن من مظاهر هذه الفضيلة اجتماعها على كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ، وذكرت فيها أهمية الموضوع، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على الآتي:

أولا: تعريف الاجتماع لغة واصطلاحًا.

ثانيا: وفيه تعريف التفرق لغةً واصطلاحًا.

ثالثا: الاجتماع والافتراق في الاستعمال القرآني، ومفهوم الاجتماع الذي جاءت به النصوص.

المبحث الأول: مظاهر الاجتماع ونبذ التفرق في القرآن والسنة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حاجة الأمة إلى الاجتماع على ما كان عليه السلف الصالح.

المطلب الثاني: خيرية الأمة في اجتماعها.

المطلب الثالث: أنواع الاجتماع.

المطلب الرابع: مظاهر الاجتماع في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: أسباب التفرق وأضراره ومفاسده.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب التفرق والاختلاف.

المطلب الثاني: ضعف الأمة وهزيمتها.

المطلب الثالث: سبل ومقومات تحقيق اجتماع ووحدة الأمة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهـيد

أولا: تعريف الاجتماع

١- تعريف الاجتماع لغة:

(جمع) الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعًا[١]، وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعًا، وجمعه وأجمعه فاجتمع[٢]. واجتمع القوم واستجمعوا بمعنى: تجمعوا، وانضم بعضهم إلى بعض، واتحدوا واتفقوا[٣].

قال ابن دريد: «وَالْجمع: خلاف التَّفْرِيق جمعت الشَّيْء أجمعه جمعا إِذا ضممت بعضه إِلَى بعض... وكل شَيْء تجمع وانضم بعضه إِلَى بعض فَهُوَ جماع... وَالْجُمُعَة مُشْتَقَّة من اجْتِمَاع النَّاس فِيهَا للصَّلَاة»[٤].

٢- تعريف الاجتماع اصطلاحا:

قال الجرجاني في «التعريفات»: «تقارب أجسام بعضها من بعض»[٥].

وقال الإمام السيوطي: «الاجتماع: وجود أشياء كثيرة يعمها معنىً واحد»[١].

---

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة»، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين [المتوفى: ٣٩٥هـ]، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٩٧/١).

(٢) انظر: «المحكم والمحيط الأعظم»، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، (٣٤٧/١).

(٣) انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس [المتوفى: نحو ٧٧٠هـ]، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، (١٠٨/١).

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لأبي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي [المتوفى: ٣٢١هـ]، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، (٤٨٣/١).

(٥) انظر: «التعريفات»، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص١٠).

والمتأمل يرى أن معنى الاجتماع في الاصطلاح لا يختلف عن المعنى الذي يفيده في أصل اللغة، وإن كان مقصود الشرع من الاجتماع هو ما يحمد شرعًا، وهو أن يلتقي المسلمون، وينضم بعضهم إلى بعض ولا يتفرقوا.

ثانيا: تعريف التفرق

١- تعريف التفرق لغة

التفرق لغة: من الفعل «تفَرَّق»، ومنه الفُرْقة والافتراق، وهو ضد الاجتماع، وتفارق الْقَوْم: فَارق بَعضُهم بَعْضًا[٢]، وفي حديث ابن مسعود: «صليت مع النبي ﷺ، بمنًى ركعتين، ومع أبي بكر وعمر، ثم تفرقت بكم الطرق»، أي: ذهب كل منكم إلى مذهب، ومال إلى قول وتركتم السُّنَّة[٣].

٢- تعريف التفرق اصطلاحا

ينقسم التفرق إلى قسمين:

أ- التفرق في الآراء والأديان:

وهذا هو الذي عابه الله ﷻ وذمَّه في كتابه العزيز، وكذا نهى عنه النبي ﷺ ، وحذر منه في سُنَّته، فالتفرق في الأديان هو داعية الضلال، وسبب التعطيل والإهمال، ولو تُرك الناس متفرقين لتفرقت الآراء والنحل، ولكثُرت الأديان والملل، ولم تكن فائدة في

---

(١) انظر: «معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم»، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م،

(٢) انظر: «المحكم والمحيط الأعظم»، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م (٦/ ٣٨٣، ٣٨٤).

(٣) «لسان العرب»، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ (١٠/ ٣٠٠).

بعثة الرسل.

ويدخل فيه أيضًا: الاختلاف على الأمراء والخروج على الأئمة، ونبذ طاعتهم، وقد نهى عنه الله تعالى، وحذر منه رسول الله ﷺ؛ لما له من خطر كبير في ضياع أمر الدين، وتشتُّت أمر الأمة، كما في قوله ﷺ: «من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية»(١).

«وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين، ويتألفهم على رأي واحد، بل كانوا طوائف شتى، وفرقًا مختلفين، آراؤهم متناقضة، وأديانهم متباينة، وذلك الذي دعا كثيرًا منهم إلى عبادة الأصنام، وطاعة الأزلام، رأيًا فاسدًا اعتقدوه في أن عندها خيرًا، وأنها تملك لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًّا»(٢).

ب- تفرق الأشخاص والأبدان:

فقد حذر منها الشرع كذلك، وأمر بالاجتماع والتآلف بين المؤمنين؛ لما في ذلك من تضافر المؤمنين وتعاونونهم وتآزرهم؛ إذ كانت مصالحهم لا تكمل إلا به، ومعايشهم لا تزكو إلا عليه.

وينبني على اجتماع الناس في ذلك مصالح كثيرة في دين الناس ودنياهم، فبذلك تقام الجماعات والجمعات، وشعائر الإسلام الظاهرة(٣).

فإذا فُقِدَ هذا الأمر في اجتماع الأبدان، وظهرت الفتن؛ أُبيح مفارقة الناس وترك مخالطتهم، كما في قول النبي ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»، (٤٧/٩)، رقم (٧٠٥٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (١٤٧٧/٣) رقم (١٨٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «العزلة»، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، ص: ٨.

(٣) المرجع السابق، (ص٨).

شعف الجبال[1] ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[2]، فإذا وقعت الفتن خشي المرء على دينه من الضياع، فأُمر بالاعتزال إحرازًا لدينه وصيانةً له[3].

ثالثا: الاجتماع والافتراق في الاستعمال القرآني

ومعنى الاجتماع الذي جاءت به النصوص

لم يرد لفظ (الاجتماع) في القرآن، ولكن ورد جذره، وهو: (جمع)، والذي يعني: تأليف المتفرق وانضمامه، ولكن القرآن الكريم تحدث عن الاجتماع والتوحد وجمع الكلمة من خلال الحديث عن الائتلاف، ونبذ الفرقة، والاعتصام بحبل الله في عدد من الآيات والتي سيأتي ذكر بعضها في ثنايا البحث –إن شاء الله تعالى– ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

---

(١) شعف الجبال: أي رؤوسها وأطرافها. انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، (ب ت) (ب ط) (٢/٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الدين الفرار من الفتن، (١/١٣) رقم (١٩)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري»، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م (١/ ٧١)، و «فتح الباري»، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م (١/ ١٠٨).

وقال سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وكذلك فقد بعث الله الأنبياء بالاجتماع، ووحدة الصف قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [الشورى: ١٣، ١٤]، قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة»[(١)].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ذُكر فيها النهي عن التفرق وذم أهله، والتحذير من سلوك سبيلهم، والتي تأمر بوجوب لزوم الاجتماع المحمود شرعًا إما بالتصريح تارة، وإما بمفهوم المخالفة تارة أخرى.

ومما تقدم يظهر لنا: أن الاجتماع الذي تواترت النصوص على الأمر به، والنهي عن الخروج عليه يأتي على صورتين:

إحداهما: هو الاجتماع على المعتقد الصحيح، والمنهج القويم، وعدم التفرق في الدين.

والثانية: هو الاجتماع على وحدة المجتمع وترابطه، وذلك بالاجتماع على طاعة الإمام بالمعروف، وعدم الخروج عليه[(٢)].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي»، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، (١٧٨/٧).

(٢) انظر: «مباحث في لزوم الجماعة ونبذ الفرقة»، د. عبد الرحمن بن عايد بن عوض الله الحربي، نشر: مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد (٦٦).

المبحث الأول

مظاهر الاجتماع ونبذ التفرق في الكتاب والسنة

المطلب الأول: الحاجة إلى اجتماع الأمة على ما كان عليه السلف الصالح

لا شك أن حاجة الأمة إلى الاجتماع حاجة شديدة، من أجل ذلك اعتنت نصوص الوحي بهذا الأمر أيما اعتناء، وهذا وإن كان في حق الأزمان السالفة أمرًا واجبًا، ففي أزماننا هذه أوجب وأجب؛ إذ به قِوام الإسلام والمسلمين، ثم إن أفضل ما ينضبط به الاجتماع وما يكون به الاجتماع محمودًا، هو الاجتماع على ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، من صحابة النبي ﷺ ومن سار على دربهم من القرون المفضلة وما بعدها، ممن التزم اتباع نصوص الوحيين بفهم هؤلاء السلف الكرام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والخير كل الخير في اتباع السلف الصالح، والاستكثار من معرفة حديث رسول الله ﷺ، والتفقه فيه، والاعتصام بحبل الله، وملازمة ما يدعو إلى الجماعة والألفة، ومجانبة ما يدعو إلى الخلاف والفرقة، إلا أن يكون أمرًا بينًا قد أمر الله ورسوله فيه بأمر من المجانبة، فعلى الرأس والعين»[(١)].

فهذا يقتضي– أي الالتزام بالجماعة – الالتزام بطريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وسلوك نهجهم، والسير على دربهم، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»، وقال: «إن الجماعة ما وافق طاعة الله جل جلاله »[(٢)].

وقال نعيم بن حماد: «إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (٦/٥٠٥).

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٢٢– رقم١٦٠)، وصحح سنده الشيخ الألباني كما في تعليقه على «مشكاة المصابيح» (١/٦١)، ورواه الترمذي في «سننه» (٤/٤٦٧)

تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة»[١].

وهذا الالتزام بالجماعة أخبر النبي ﷺ عظم منزلة أصحابه، فقال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[٢].

ثم إن الاجتماع مصالحه عظيمة؛ ولذلك قال ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٣]، قال ابن مسعود: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنهما السبيل إلى حبل الله الذي أمر به، وإنما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»[٤].

والأمة محتاجة لوحدة الصف، وهذا أمر فطري تتعلق به أفئدة جميع المسلمين، وخاصة عندما يظهر تكالب الأعداء، وإذا كان الاجتماع ضروريًّا في كل وقت وحين، فالأمة اليوم أحوج إليه بكثير من ذي قبل، وقد أخبر النبي ﷺ عما ينبغي أن يكون عليه حال المسلمين إذا نزل ببعضهم محنة، فقال: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد؛

---

(١) رواه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (٤٢٠/١) (٩١٠)، وبهذا اللفظ نقله أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص ٢٢)، وأخرجه بنحوه: اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٠٨، ١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» رقم (١٣٧/١) (١٩٢٠)، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، والترمذي رقم (٢١٧٧) و (٢٢٣٠) في الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً لأمته.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» باب في ذكر مفارق الجماعة، (٤٣٥/٢) (٨٩٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «الأمثال» (ص١٤٨) من حديث النعمان بن بشير ﷺ، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٢٨٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٢): «رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني، ورجاله ثقات»، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٢٧٦).

(٤) رواه اللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (١/ ١٠٨)، ورواه الطبراني (٩/ ١٩٨) (٨٩٧١)، والحاكم (٤/ ٥٩٨). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣١): رواه الطبراني بأسانيد وفيه مجالد وقد وثق وفيه خلاف وبقية رجال إحدى الطرق ثقات.

إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

المطلب الثاني: خيرية الأمة في اجتماعها

جعل الله تعالى من مظاهر خيرية هذه الأمة اجتماعها على كتاب ربها ﷻ، وسنَّة نبيها ﷺ، وقد امتنَّ الله تعالى على رسوله ﷺ بذلك، حيث جمعهم حوله وأيده بهم، بعد أن كانوا في الجاهلية مختلفين متناحرين، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، فجعل الله تعالى التأليف بين قلوب المؤمنين من آياته، ومدح نفسه بها، وامتنَّ على رسوله ﷺ بذلك[2].

فمن تمام نعمة الله تعالى على هذه الأمة هذا التآلف، وتلك الأخوة الإيمانية التي ربطهم بها، ومحا عنهم بهذا ما كان بينهم في الجاهلية من تقاتل وتنابذ[3].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاعتصام بحب الله تعالى مذكرًا لهم بنعمته عليهم في تأليفه لقلوبهم، وحذرهم من ضدِّ ذلك وهو الاختلاف والتفرق؛ فقال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (١٩٩٩/٤) (٢٥٨٦).

(٢) انظر: «قوت القلوب في معاملة المحبوب» و«وصف طريق المريد إلى مقام التوحيد»، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م (٣٨٢/٢).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (٩٢/١٩).

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣ – ١٠٥].

قال السعدي: «أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى، وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة، مؤتلفين غير مختلفين، فإن باجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام.

ثم ذكَّرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها، فقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ [آل عمران: ١٠٣] يقتل بعضكم بعضًا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضًا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي ﷺ، فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم، وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: قد استحققتم النار، ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ ﴾ بما مَنَّ عليكم من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] بمعرفة الحق والعمل به.

وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها... ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟

وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ ومن العجائب أن اختلافهم كان ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ»[١].

يقول شيخ الإسلام: «وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا، وأن لا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة»[٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م (ص: ١٤١، ١٤٢).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (٣٥٩/٢٢).

المطلب الثالث: أنواع الاجتماع

ليس كل اجتماع محمودًا شرعًا، ولا كل فُرقة منهي عنها شرعًا، فهناك اجتماع محمود، واجتماع مذموم، وهناك فُرقة محمودة، وفرقة مذمومة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاجتماع بالإخوان قسمان: أحدهما: على مؤانسة الطبع، وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب، ويضيع الوقت، الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة، والتواصي بالحق والصبر؛ فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها»(١).

وقد ذكر العلماء أن الاجتماع على ضربين: اجتماع أجسام، واجتماع معانٍ، وهي الأخلاق والأهواء، وجعل افتراق الأهواء كافتراق الأجسام(٢)، وهذه تنقسم إلى ما هو محمود، وما هو مذموم.

أولا: الاجتماع المحمود

الاجتماع المحمود هو الذي يكون على الحق، والتعاون عليه ونصرته، والاجتماع على الأعمال الصالحة، ويمكن القول: إن الاجتماع المحمود هو كل ما تتحقق به المصالح والواجبات الشرعية، وتندفع به المضار والمفاسد، وهو الذي أمر الله تعالى به في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] يريد بذلك: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه، من الألفة والاجتماع

---

(١) انظر: «الفوائد»، حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م، (ص٥١).

(٢) انظر: «أحكام القرآن»، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، (٢/٢٣٧).

على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله.

وقد ذكر ابن جرير عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن حبل الله هو: الجماعة، وذكر بأسانيده أقوالًا أخرى عن السلف في تفسير معنى (حبل الله) منها: القرآن، والإخلاص لله وحده، والإسلام[1]، وهذه الأقوال مؤداها واحد، ونتيجتها واحدة، فإن الاعتصام بالقرآن، والإخلاص لله وحده، والتمسك بالإسلام الصحيح الذي جاء به رسول الله ﷺ كلها مما ينتج عنه تآلف المسلمين، واجتماعهم، وترابطهم، وتماسك مجتمعهم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة»[2].

وقد ذكر القرآن أنواعًا من الاجتماعات المحمودة، منها:

١- الاجتماع على طاعة الله تعالى:

فقد أمر الله نبيه ﷺ والأمر لأمته أيضًا: أن يجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيًا، من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء، كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

٢- الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله:

ومن الاجتماعات المحمودة الاجتماع على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٦٤٤/٥).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، (١٥٩/٤).

عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] فقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ أي: جردوا من أنفسكم أمة مجتمعة، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

وسواء أكان الأمر موجهًا إلى الأمة الإسلامية كلها، أو إلى جماعة منها، فإن معطيات هذا الأمر واحدة، حيث تكون الأمة كلها منقادة للقيادة الرشيدة فيها، وهي جماعة العلماء العاملين بعلمهم، الداعين إلى الخير، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وبهذا تصبح الأمة كلها على هذا الطريق المستقيم.

ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، فلا بد إذن من جماعة مجتمعة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

ثانيًا: الاجتماع المذموم

الاجتماع وإن كان مطلوبًا شرعًا، ومحمودًا عقلًا، إلا أنه لا يختلف عاقلان في أن التفرق والتبدد أولى من الاجتماع على الشرور، والاتفاق على الفجور؛ وعلى الباطل والبدع والضلال، وقد حكى لنا القرآن أمثلة كثيرة على الاجتماع على الباطل والشر، ومن هذه الأمثلة:

١- **الاجتماع على المكر والخداع:** كاجتماع بني يعقوب، حين أجمعوا أمرهم على المكر بيوسف عليه السلام وجعله في غيابة الجب.

٢- **الاجتماع على الإفساد في الأرض:**

من الاجتماع المذموم الاجتماع على الفساد، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل: ٤٨، ٤٩].

فهؤلاء اجتمعوا على الإفساد في الأرض، وقتل الناقة، وتعاهدوا وتقاسموا على ذلك.

٣- **الاجتماع على الكفر والاستهزاء بدين الله:**

ومن الاجتماعات المذمومة التي ذمها الله في القرآن: اجتماع الكفار والمنافقين على السخرية والاستهزاء بدين الله، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨]. فهؤلاء اجتمعوا على الكفر، وهو الاستهزاء بالدين، والخوض في آيات الله بالباطل، فنهى الله ﷻ عن مجالستهم، وحضور اجتماعهم المشؤوم.

والمقصود: أن كل اجتماع لم يؤسس على طاعة الله، ولم يكن على نور من الله، فهو اجتماع مذموم، واجتماع يؤول إلى الحسرة والندامة، وتنقلب الألفة إلى نفرة، والمحبة إلى عداوة، والكثرة إلى قلة.

المطلب الرابع
مظاهر الاجتماع في الشريعة الإسلامية

من مظاهر فضيلة اجتماع الأمة: أن إجماعها معصوم، وهو أصل من أصول التشريع بعد كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، كما قال النبي ﷺ: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»(١)، وكذا لو وقع الاختلاف، فإن الأمة لا يهجر فيها الحق، بل لا بد من قائم به، مع حدوث الاختلاف، فإن اتفقت الأمة على أمر فهو حق يقينًا(٢).

ومن مظاهر الاجتماع: أن الشرع الحنيف جعله مظهرًا من مظاهر العبادات العظيمة كالصلاة، فشرع الله تعالى الجماعة في الصلاة، وجعل النبي ﷺ الاجتماع في الصف مظهرًا من مظاهر اجتماع القلوب، فعن أبي مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم»(٣).

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله من مصالح ومنافع صلاة الجماعة:

١- التوادُّ بين النَّاسِ؛ لأنَّ ملاقاةَ النَّاسِ بعضهم بعضاً واجتماعهم على إمامٍ واحدٍ في عبادةٍ واحدةٍ ومكان واحدٍ يؤدِّي إلى الألفة والمحبة.

٢ - التَّعارفُ، ولهذا نَجِدُ أنَّ النَّاسَ إذا صَلَّى عندَهم رَجُلٌ غريبٌ في المسجدِ، فإنَّهم يسألون عنه مَن هذا؟ مَن الذي صَلَّى معنا؟ فيحصُلُ التَّعارفُ، والتَّعارفُ فيه فائدةٌ وهي: أنَّه قد يكون قريباً لك فيلزمُك مِن صِلَتِهِ بِقَدْرِ قرابته، أو غريباً عن البلد، أو غير ذلك، فتقومُ بحقِّهِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، (١٣٠٣/٢) رقم (٣٩٥٠)، عن أنس بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٣٣١).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم»، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٩٧/١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وإقامتها، (٣٢٣/١) رقم (٤٣٢).

٣- تعويدُ الأمَّةِ الإسلاميةِ على الاجتماعِ وعدم التفرُّق؛ لأنَّ هذا الاجتماعَ يُشكِّلُ اجتماع الأمَّة عموماً؛ إذ إن الأمَّةَ عموماً مجتمعة على طاعةِ ولي أمرِها وقائدِ مسيرتها حتى لا يختلفوا ويتشتَّتوا، فهذه الصَّلاةُ في الجماعة وِلاية صُغرى؛ لأنهم يقتدون بإمامٍ واحدٍ يتابعونه تماماً، فهي تشكِّلُ النَّظرةَ العامةَ للإسلامِ.

٤- شعورُ المسلمين بالمساواة في عبادة الله تعالى؛ لأنه في هذا المسجدِ يجتمعُ أغنى النَّاسِ إلى جَنْبِ أفقرِ النَّاسِ، والأميرُ إلى جَنْبِ المأمورِ، والحاكمُ إلى جَنْبِ المحكومِ، والصغيرُ إلى جَنْبِ الكبير، وهكذا فيشعرُ الناسُ بأنهم سواء في عبادة اللهِ[١].

وكذلك في الحج يجتمع المسلمون في وقت واحد في مكة لأداء مناسك الحج، متفقين في الشعار وفي الملبس، لا سيما في يوم عرفة، مظهرين ذلك الاجتماع الذي أمرهم الله تعالى به، وفي صلاة الجمعة كذلك أيضًا[٢].

(١) انظر: «الشرح الممتع على زاد المستقنع»، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ (٤/١٣٥-١٣٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٥/ ٥).

المبحث الثاني
أسباب التفرق وأضراره ومفاسده

المطلب الأول: أسباب التفرق والاختلاف

لا شك أن التفرق والاختلاف واقع في هذه الأمة من أزمان بعيدة، وهو حاصل بمشيئة الله الكونية القدرية؛ إذا قد أخبرت نصوص الوحي عن حصوله ووقوعه، مع أمر الشارع بمدافعته قدر المستطاع، والعمل على حصول الاجتماع ونبذ التفرق والاختلاف، ولكي يتسنى للمجتمع المسلم علاج هذا الداء العضال ينبغي أولًا أن يلتمس أسباب هذا الداء، ونستطيع هنا أن نذكر هنا أهم أسباب التفرق والاختلاف، فمنها:

أولا: اتباع الهوى

ولقد جاء الأمر صريحًا لمحمد ﷺ باتباع الشرع الحنيف، والنهي عن اتباع الهوى كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨].

ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، ويذمونهم بذلك.

قال أبو العالية: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الإسلام يمينًا وشمالًا، وعليكم بسنة نبيكم، والذي كان

عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»[١].

وصدق أبو العالية رحمه الله، فهذه الأهواء المذمومة قد فرقت الأمة، وفككت كيان الجماعة المسلمة، والمتأمل لأسباب الفرقة يجد أنها تدور في رحاها بين الجهل وبين اتباع الهوى، والظلم؛ لذلك لا اجتماع للأمة إلا بوحدتها على كتاب الله تعالى، وسنة نبيه الكريم، والتزام صراطه المستقيم علمًا وعملًا، حقًا وعدلًا، وترك الأهواء.

ثانيا: الجهل وتفاوت الناس في العلم والمعرفة[٢]

فأصل حدوث الاختلاف المذموم والتفرق في الأمة هو الجهل بالدين؛ ولهذا قال الشاطبي رحمه الله: «الاختلاف في القواعد الكلية لا يقع بين المتبحرين في علم الشريعة الخائضين في لجتها العظمى، العالمين بمواردها ومصادرها، والدليل على ذلك اتفاق العصر الأول وعامة العصر الثاني»[٣].

ولهذا روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلا يومًا فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما وسأله، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنما نزل القرآن علينا فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل؛ فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان ذلك اختلفوا.

قال الإمام الشاطبي معلقًا: «وما قاله ابن عباس رضي الله عنهما هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قُصد بها، فلم يتعد ذلك

---

(١) انظر: ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م، (١١/٥).

(٢) انظر: «الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار»، ناصر بن سليمان العمر، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (ص٣٣).

(٣) انظر: الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، (٦٧٩/٢).

فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجهًا، فذهب كل إنسان مذهبًا لا يذهب إليه الآخر»[1].

ثالثا: اتباع السبل

من أسباب التفرق اتباع السبل المتفرقة، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ففي قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى ﴾ الإشارة إلى معهود لدى المخاطبين، أو إلى ما جاء في السورة، وهو الإسلام والقرآن، وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وكأنه يقول: ولأن هذا صراطي فهو علة للاتباع.

والسُّبل: هي الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات[2].

فذكر تعالى أن له سبيلًا واحدة سماها: صراطًا مستقيمًا؛ لأنها أقرب طريق إلى الحق والخير والسلام، وأن هناك سبلًا متعددة، يتفرق متبعوها عن ذلك الصراط، وهي طرق الشيطان، فطريق الحق هو الوحدة والإسلام، وطرق الشيطان هي مثارات التفرق والخصام، وهي معروفة في كل الأمم، ولكن الشيطان يزين طرقه، ويسول للناس المنافع والمصالح في التفرق.

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم، فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد، وسبيل واحد، وهي

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي، (٢/٦٩٢).

(٢) انظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، (١/١٥٣).

سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها»[1].

والمقصود: أن من أسباب التفرق والاختلاف اتباع السبل، وهي الطرق المختلفة في الدين، وأن السبيل الوحيد للنجاة من ذلك هو اتباع صراط الله الذي وصفه بالاستقامة، فلا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه وحده، ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه، وهي كثيرة، فتتفرق بكم عن سبيله، بحيث يذهب كل منكم في سبيل ضلالة منها ينتهي بها إلى الهلكة؛ إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، وليس أمام تارك النور إلا الظلمات.

رابعا: التحزب والتعصب

ومن أسباب الاختلاف التحزب والتعصب، قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢ ﴾ [الروم: ٣٢] يعني: كان الناس أمة واحدة على دين واحد، وهو دين الإسلام.

وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ ﴾ [المؤمنون: ٥٢] والمعنى: «وإنَ دينكم –يا معشر الأنبياء– دين واحد، وهو الإسلام، وأنا ربكم، فاتقوني بامتثال أوامري، واجتناب زواجري، فتفرَق الأتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أديانًا، بعدما أُمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه، زاعم أنه على الحق، وغيره على الباطل، وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين»[2].

ولهذا قال هنا ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ والتقطع يقتضي التحزب، وقديمًا كان التحزب مسببًا لسقوط الأديان والأمم، وهو من دعوة الشيطان التي يلبس فيها

---

(١) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، (٢٦٢/١).

(٢) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م، (ص ٣٤٥).

الباطل في صورة الحق، والحزب: الجماعة المجتمعون على أمر من اعتقاد أو عمل، أو المتفقون عليه(١).

والحاصل: أن التحزب يؤدي إلى التعصب، وهو من أسباب عدم اجتماع الأمة، وتفرقها إلى جماعات وأحزاب، وكل طائفة وفرقة من هؤلاء تحدث بدعًا وأفكارًا، تفرح بها، وتظن أنها على الحق، وأن الصواب معها دون غيرها.

خامسا: البغي

ومن أسباب الافتراق: البغي، وقد اختلف أهل الكتاب بعدما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله؛ بغيًا بينهم، وظلمًا وعدوانًا من أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الشورى: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الجاثية: ١٧].

قال الإمام الرازي: «فهم ما تفرقوا إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلالة؛ ولكنهم فعلوا ذلك للبغي، وطلب الرياسة، فحملتهم الحمية النفسانية، والأنفة الطبعية على أن ذهب كل طائفة إلى مذهب، ودعا الناس إليه، وقبح ما سواه؛ طلبًا للذكر والرياسة،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (٧٣/١٨) بتصرف.

فصار ذلك سببًا لوقوع الاختلاف، ثم أخبر تعالى أنهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل»[1].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود من هذه الجملة التعجب من أحوالهم؛ لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف، وها هنا صار مجيء العلم سببًا لحصول الاختلاف؛ وذلك لأنهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم، وإنما المقصود منه طلب الرياسة والبغي»[2].

والحاصل: أن من أسباب التفرق وعدم الاجتماع البغي، وأن المراد من هذه الآيات القرآنية أن نبتعد عن الخلاف في الدين، والتفرق فيه إلى شيع ومذاهب، كما فعل من قبلنا، وأن يسعى أهل الإيمان الصادق في نبذ الاختلاف والفرقة، حتى يعود المسلمون إلى سيرتهم الأولى في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ومن تبعهم بإحسان.

سادسا: كيد الأعداء

لا شك أن أعداء الإسلام والمسلمين يُدركون تمامًا أثر الأخوة الإسلامية في وحدة المسلمين، ودورها الخطير في جمع شتاتهم، وإزالة فُرقتهم، ولذلك حرصوا كلَّ الحرص على أن لا تقوم للأخوَّة الإسلامية قائمة، فعملوا على غرس المعوِّقات في طريقها؛ لكي لا يتَّحد المسلمون، وليَبْقَوْا متفرِّقين حتى لا يكون لهم في العالم أي وزن، ولا تأثير.

وفي وثيقة محفوظةٍ بالمركز العام للوثائق بلندن، تحت رقم ٣٧١ – ٥٥٩٥، ورد في تقرير وزير المستعمرات البريطانية «أورمسي غو» لرئيس حكومته في ٩ – ١ – ١٩٣٨: «إن الحرب علمتْنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تَحْذَرَه وتُحاربه...» ثم قال: «إن سياستنا تهدف دائمًا وأبدًا، إلى منع

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، (٥٨٨/٢٧).

(٢) المصدر السابق (٦٧٥/٢٧).

الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك»[١].

ويقول «لورانس براون»: «إذ اتَّحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطرًا، وأمكن أن يصبحوا نعمةً له أيضًا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير»[٢].

وقد أخبرنا سبحانه عن شيء من هذا فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ [التوبة: ١٠٧].

فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا﴾ أي: يفرقون به جماعتهم؛ لأنهم كانوا يصلون جميعًا في مسجد قباء، وجاؤوا يخدعون النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ربما جاء السيلُ، فيقطع بيننا وبين الوادي، ويحول بيننا وبين القوم، ونصلي في مسجدنا، فإذا ذهب السيل صلينا معكم! وبنوه على النفاق[٣].

فهم بنوه ليكون مأوى يأوي إليه المنافقون، ويدارون نفاقهم بالاجتماع فيه، ثم ليفرقوا بين المؤمنين، حيث لا تجتمع جماعتهم في مكان واحد، بل يتوزعهم المسجدان المتجاوران، فيقل بذلك جمعهم، وتصغر في الأعين جماعتهم، الأمر الذي يخالف ما يدعو إليه الإسلام من جمع المسلمين في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين، لتتوحد مشاعرهم، وتمتلئ العيون مهابة، وإجلالا لهم[٤].

فهؤلاء الأعداء سعوا جاهدين بمكر وكيد ليشقوا صف المؤمنين، ويفرقوا جماعتهم

---

(١) انظر: هُموم داعية، محمد الغزالي، ص ١٦٥ – ١٦٧ (ط إدارة إحياء التراث الإسلامي – قطر)، وقد ذكر أن هذه الوثيقة نُشرت في جريدة العلم، نقلا عن مجلة (درع الوطن) بالإمارات العربية المتحدة.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصِلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ٥٢٥، نقلًا عن الإسلام والإرساليات، لورانس براون، ص ٤٤ – ٤٨.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨١/٤) بتصرف يسير.

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، (٨٩٥/٦).

بهذه الخطة، وهذا الكيد العظيم، وهو بناء هذا المسجد، الذي من أعظم البواعث من بنائه هو تفريق المؤمنين.

والمقصود: أن من أسباب تفرق المسلمين سعي الأعداء في التفريق بينهم، كما أراد هؤلاء المنافقون من بناء المسجد، وهو أن يفرقوا بين المؤمنين وبين رسول الله، حتى إذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين، فيكون أيسر وأهون عليهم في القضاء عليهم، والظفر بهم.

وهكذا أعداء اليوم يعدون العدة، ويرسمون الخطط، ويعقدون اللقاءات والمؤتمرات والدراسات للتفريق بين المسلمين، وضرب بعضهم ببعض، ويسعون ليل نهار في تقطيع أوصال هذه الأمة، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

سابعا: ظهور البدع والأهواء

أخبر النبي ﷺ، بوقوع البدع وظهور الأهواء، والتي تؤدي بدورها إلى تفرق الأمة ووقوع التنازع فيما بينها، فقال ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»(١).

وهذا الإخبار منه ﷺ على سبيل التحذير من هذا التفرق، والوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة(٢)؛ ولهذا أمر ﷺ بالتزام الجماعة، والحذر من طرق أهل الأهواء، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ

---

(١) أخرجه أبو داود، في «كتاب السنة»، باب شرح السنة (١٩٧/٤)، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي، في أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٢٥/٥) رقم (٢٦٤٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء عن عدة من الصحابة، قال الترمذي: وفي الباب عن سعد، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٠٣).

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ١٠١).

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم»(١).

ومن آثار البدع والأهواء ظهور التناحر بين أبناء الأمة، كل صاحب هوى يتعصب إلى رأيه، حتى يصير الأمر إلى التكفير ورفع السلاح على المخالف، قال أبو قلابة: «مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً قَطُّ إِلَّا اسْتَحَلُّوا بِهَا السَّيْفَ»(٢).

وكان أيوب السَّخْتِيَانِيُّ يسمِّي أصحاب البدع خوارج، ويقول: «إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف»(٣).

وأول اختلاف وقع في الأمة هو قول الخوارج الذين كفَّروا أصحاب النبي ﷺ وحملوا عليهم السيف، واستحلوا دماءهم(٤).

ولا سبيل إلى النجاة من مغبَّة هذه الأهواء، ولا مخرج منها إلا بالرجوع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته، والاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما في قول النبي ﷺ: «إنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {منه آيات محكمات} [آل عمران: ٧]، (٦/٣٣) رقم (٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن... (٤/ ٢٠٥٣) رقم (٢٦٦٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/١٥١) رقم (١٨٦٦٠)، والدارمي في «سننه» (١/٢٣١) رقم (١٠٠)، والآجري في «الشريعة» (١/٤٦٠)، وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (ص١٨٩، رقم ١٢٣٦)، والآجري في «الشريعة» (٥/٢٥٤٩) رقم (٢٠٥٧)، واللالكائي في «شرح السنة» (١/١٦٢) رقم (٢٩٠).

(٤) انظر: شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم كتاب «الإيمان الأوسط»، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق: الدكتور علي بن بخيت الزهراني، أصل الكتاب: أطروحة دكتوراه – قسم الدراسات العليا الشرعية فرع العقيدة بجامعة أم القرى، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٣ هـ (ص: ٣٢١).

(٥) أخرجه أحمد (٤/١٠٢)، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تخريج «المسند».

وفي إحدى روايات حديث افتراق الأمة: «وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1].

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٢٦/٥)، رقم (٢٦٤١)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

المطلب الثاني
ضعف الأمة وهزيمتها

التنازع والتفرُّق شؤم على من وقع فيهم ذلك، ولهذا حذر الله تعالى منه، فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، والتنازع من أسباب الفشل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فإذا تفرق الناس وتنازعوا فشلوا وخسروا، وذهبت ريحهم، ولم يكن لهم وزن، والأعداء يتربصون من الأمة وقوع التفرق بينهم؛ فيتحينون ذلك ليكسروا شوكتهم، وينتصروا عليهم(١)، فإن التنازع أول أسباب الهزيمة، وكان ذلك من الدروس العظيمة التي علمها الله تعالى لنا في غزوة أُحُدٍ؛ حين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فمن الفوائد التي تعلمها المسلمون مما وقع في غزوة أحد: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، فكانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة، وتحرزًا من أسباب الخِذلان(٢).

ولما كان الاجتماع فيه من المصالح والمنافع العظيمة، وكان الخلاف والتفرق فيه ما يضادها من الأضرار والمفاسد، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «الخلاف شر»، وذلك حين صلى عثمان بمنى أربعًا، فقال عبد الله: «صليت مع النبي ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين»، زاد، عن حفص: «ومع عثمان صدرًا من إمارته، ثم أتمها» زاد من ها هنا عن أبي معاوية: «ثم تفرقت بكم الطرق، فلوددت أن لي من أربع

---

(١) انظر: «كتاب العلم»، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: صلاح الدين محمود، الناشر: مكتبة نور الهدى (ص٢٥).

(٢) انظر: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م (١٩٦/٣).

ركعات ركعتين متقبلتين». قال الأعمش: فحدثني معاوية بن قرة، عن أشياخه: أن عبد الله صلى أربعًا، قال: فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعًا؟! قال: «الخلاف شر»[1].

قال ابن عثيمين: «وهذا هو الحقُّ الذي أمَرَ اللهُ به، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٢] وقال: ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فالأمةُ الإسلاميةُ أمةٌ واحدةٌ، وإنِ اختلفتْ آراؤها، فيجبُ أن يكون مظهرُها واحداً لا يختلفُ»[2].

(١) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى، (١٩٩/٢)، رقم (١٩٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٤٤/١).

(٢) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (٤/ ١٥٨).

المطلب الثالث

سبل ومقومات تحقيق اجتماع ووحدة الأمة

وبعد هذا الطرح السابق في بيان أن خيرية هذه الأمة لا تكون إلا باجتماعها، وحصول الألفة والتماسك والترابط بين أفرادها، نحاول أن نبين أهم وسائل وأسباب اجتماعها ووحدتها في ضوء ما سبق، ونذكر على سبيل الأهمية لا الحصر عدة أسباب، فمن هذه الأسباب والوسائل:

أولا: الاجتماع على عقيدة واحدة

لا شك أن الاعتقاد السليم هو أهم ما يوحد الناس، والاختلاف فِي العقيدة بِسَبَب التَّفَرُّق والنزاع والتناحر، فاجْتِمَاع الْمُسلمين على ما جاء في الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة وما كان عليه صحابة النبي ﷺ في مسائل الاعتقاد هو الَّتِي ينْتج عَنْهَا حُصُول الْقُوَّة للْمُسلمين والانتصار على عدوهم؛ لأَنهم يدينون بدين وَاحِد وعقيدة وَاحِدَة، وذلك يضم المسائل الاعتقادية التي لم يختلف فيها أحد من المسلمين، مما ورد في كتاب الله وصح في هدي رسول الله، ولم يكن عليه خلاف في فهمه وقطعيته، ويظْهر هَذَا جليًّا فِي حَالَة الْعَرَب قبل أَن يدينوا بعقيدة التوحيد وَبعد مَا دانوا بهَا فقد كَانُوا من قبل أعداءً متناحرين، يفتخرون بِالْقَتْلِ والنهب وَالسَّلب فلما دانوا بهَا أَصْبحُوا إِخْوَة متحابين.

أما ما اختلف المجتهدون في فهمه، مما لم يأت فيه توقيف عن الشارع فتلك مسائل لا يجوز أن تكون سببًا للتفرقة والنزاع.

وواقع الحال أننا نجد أن كثيرًا من الخطباء والعلماء والمدرسين لا يثيرون إلا المسائل الخلافية، فجهل الناس مسائل الاتفاق، وعَلِموا الخلاف، فاختلط عليهم الأمر لأنهم غير قادرين على تمييز الحق من الباطل فيها، وتسببت هذه المسائل في الحقد والغل والفرقة، ولو أن العلماء لم يتكلموا إلا في مسائل الاتفاق؛ لاجتمع الناس، ولصلح حالهم، ولَكَفَتْهم في حياتهم، ولانْتَفَتِ الفرقة والخلاف والغيظ فيما بينهم.

ثانيا: من أسباب الاجتماع طاعة الله ورسوله

فإن الناس إذا انحرفوا عن منهج الله لا بد أن يختلفوا، لأنه ليس وراء منهج الله إلا الهوى والباطل، والأهواء لا تجتمع، وأهلها لا يتوافقون، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فجاء النهي عن التنازع بعد الأمر بطاعة الله ورسوله، لينبهنا إلى التنازع نابع من ترك الطاعة لله ولرسوله(١).

ثالثا: ومن أسباب الاجتماع طاعة أولياء الأمور وأهل العلم الثقات الذين يطيعون الله ورسوله

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]، ومن أشد ما يفرق الناس ويفسد اجتماعهم الطاعة في معصية الله، قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله»(٢).

وللعلماء الدور الهام في مخاطبة الناس وإقناعهم وتوحيدهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء: ٨٣](٣).

رابعا: نبذ التعصب

لا ينبغي أن يتعصب المسلم لرأي، أو جماعة، أو مذهب؛ حتى يصل به الأمر إلى أن يتحامل على أخيه المسلم؛ فيستبيح دمه أو يكفِّره بغير حق، كما فعل أحد ابنَيْ

---

(١) انظر: مقال بعنوان (الطريق إلى تحقيق وحدة المسلمين)، بمجلة الوحدة الإسلامية، العدد (١٧٣) بقلم جمال الدين شبيب.

(٢) أخرجه البخاري في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وفي الجهاد، باب السمع والطاعة للإمام، (٤٩/٤) برقم (٢٩٥٥)، ومسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٩/٣) رقم (١٨٣٩).

(٣) المصدر السابق.

آدم مع أخيه، إذ حقد عليه حتى استباح دمه وقَتَلَه، وكما فعل الخوارج إذ كفروا عليًّا ﷺ فقتلوه، وهو إمام المتقين وخليفة المسلمين.

وإنما ينشأ ذلك عن التكبر وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وعن حب الرياسة والظهور، أو ينشأ ذلك عن إساءة الظن بالآخرين، أو ينشأ من سلوك الشدة على المخالف المسلم بدل الرفق والنصيحة، وقد يحصل ذلك نتيجة عدم التثبت مما ينقل عن الآخرين من كلام، فيسرع إلى اتهامهم، وتحقيرهم، أو ادعاء خروجهم عن منهج الحق، وقد ينشأ ذلك عن الجهل، فبعض طلاب العلم الذين لم يستوعبوا العلم، أو لم يأخذوه عن أهله؛ يفهمون النصوص على غير وجهها، ويُنزِّلونها على الناس وعلى الواقع تنزيلًا غير سليم: فيحصل التخبط والخطأ والانحراف والتضليل بغير حق.

ونتيجة لعدم الرسوخ في العلم، عند كثير ممن يحسبون على العلم والعلماء، ونتيجة عدم الرجوع إلى الراسخين؛ صارت الساحة العلمية والدعوية والتربوية في فوضى واضطراب واختلاف وتنازع، تجد مجاله في فضائيات وإذاعات ومواقع الكترونية وصحف، بل ومساجد وجامعات.

فواجب كل عالم أن يراجع علمه ويتبحر فيه ويأخذه عن الثقات الراسخين، ويخلص فيه لله، ويتجرد عن هواه، ويتواضع لإخوانه من أهل العلم.. وواجب كل مسلم أن يأخذ فتواه وعلمه عن العلماء المقبولين الصالحين، ولا يغتر بمن رفعه إعلام فاجر أو سلطة غاشمة.

ولقد وصل الأمر ببعض طلاب العلم إلى أن يقع فيما وقع فيه الخوارج، كما قال فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «يأتون إلى آيات جاءت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين».

ولا تخلو بلاد المسلمين اليوم ممن يصنع السوء والتفريق والتآمر بين المسلمين وإيغار صدورهم على بعض، فيجب على المسلم أن لا يحسن الظن بهؤلاء، ويجب عليه أن يحذر منهم، ويجب أن لا نوليهم علينا، ويجب أن ننكر عليهم، ونحذر أبناءنا وإخواننا وشعوبنا منهم(١).

(١) المصدر السابق.

خامسا: العمل على إيجاد مرجعية للأمة

من واجب الأمة الإسلامية وقياداتها وعلمائها وحكامها وشعوبها؛ أن يَسْعَوا لصنع مرجعية للأمة، بحيث تكون هذه المرجعية مكونة من أفضل العلماء المسلمين الصالحين الربانيين الراسخين في العلم، من الذين يتمسكون بالكتاب والسنة الصحيحة، وممن استوعبوا المذاهب الفقهية المعتبرة، وممن يهتمون بالواقع ويقدرون على معرفة أسراره، ويقدرون على الفتوى المبصرة بتنزيل النصوص على الواقع تنزيلًا صحيحًا.

فإذا وجدت هذه المرجعية للأمة الإسلامية فإنها ستكون قادرة على توحيد الأمة، ومحاصرة الخلاف ونفي الفرقة، وستكون قادرةً على إرشاد الأمة إلى علاج مشكلاتها، وصنع وحدتها السياسية، فضلاً عن وحدتها العلمية والدعوية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية وغيرها، وسينعكس ذلك على ضبط الساحة العلمية والدعوية في الفضائيات والإنترنت وأدوات الإعلام المختلفة.

سادسا: فتح باب الحوار مع المخالف

يجب على المسلمين وخصوصاً على علمائهم أن يفتحوا باب الحوار وحرية الرأي والكلام ويشجعوا على طلب الوصول إلى الحقيقة، في إطار الأدب والاحترام، فالحق يعلو بمنطقه وحجته، لا يعلو بفرض الأفكار بالقوة ولا يعلو بكتم أنفاس الناس ومنعهم من إظهار ما في أنفسهم أو إبداء أرائهم واستفساراتهم وشبهاتهم وما يشوش على أفكارهم.

والذين يفرضون آراءهم بالقوة في بلاد المسلمين من غير أن يصلوا إلى إقناع الناس بها؛ هؤلاء فاشلون، ولن تدوم دولتهم ولا أفكارهم، بل هم موضع شك وريبة بأنهم يحملون أفكارًا باطلة لا تصمد أمام الحوار والحجة.

علينا أن نستمع إلى كل قول ورأي، ونحاور الناس ونستمع إلى شبهاتهم، ونبدي لهم الحجج والبراهين، ولا نسارع إلى التكفير والتبديع والتفسيق، فمن أصر على الباطل والفساد والانحراف والضلال بعد إقامة الحجة عليه، وبعد إزالة شبهاته؛ فذلك الذي نحكم عليه بما يستحق.

ولن تقوم وحدة للمسلمين إلا بهذا، فإن الذين يفرضون آراءهم فرضاً، ويخوفون

الناس من الحوار ومن إظهار ما في نفوسهم؛ هم ضعفاء يهربون من الحوار، كما أنهم يصنعون في المجتمع نفاقًا سيكون له أثره في هدم المجتمع وحرب الإسلام، وسيكون ضمن المجتمع آراء كثيرة باطلة تخفي نفسها أمام القوة، لكنها تسري في السر بين الناس الذين لم يرسخ الاعتقاد الحق في قلوبهم(١).

سابعا: عدم فرض آراء بعينها على الناس في الأمور الخلافية الاجتهادية

فالذين يفرضون آراءهم على الناس في أمور اجتهادية، هم متكبرون كأنهم يدَّعون العصمة لأنفسهم، وقد ربى النبي أصحابه على أن الواحد منهم لا يجزم بصحة اجتهاده، ولا يجزم بنسبته إلى الله، تأدباً مع الله، وتأدباً مع الغيب، وتواضعًا لمن يقول برأي يخالف ذلك.

ولا يمكن أن تحصل الألفة والوحدة حتى يعذر بعضنا بعضًا في الخلافيات، فإذا كان ينظر الإنسان على أن فهمه للشريعة هو الشريعة، وأن فهم غيره هو ترك للشريعة؛ فلا يمكن الاجتماع مع هذه الحال، وذلك من التكبر، إذ يدعي العصمة لنفسه في فهم النصوص، فينسب فهمه إلى الله تعالى ورسوله ، ويدعي أن فهمَ غيره فهمٌ سقيم يعارض الله ﷻ ورسوله، وقد حذر النبي – صلوات الله عليه وآله – من هذا التوجه الباطل، فكان يأمر أمراء الجند والجهاد حينما يوصيهم ويرسلهم إلى الجهاد، فيقول لهم فيما يقوله: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟»(٢)، فإذا كان قادة الصحابة قد لا يصيبون حكم الله، فمَن هذا العالم الذي يدعي أنه لا يخطئ في أحكام الله؟! وما أشدَّ تكبُّره وغرورَه؟!

فواجبنا أن نعتني بالمسائل القطعية والمسائل المتفق عليها، ونجمع الناس عليها، ثم لا نجعل من غيرها سبباً في الفرقة والكراهية والعداوة والقطيعة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٣٥٧/٣) (١٧٣١).

ثامنا: من أسباب الاجتماع الإنصاف وحسن الظن بالآخرين

ولا تحصل الألفة والوحدة إلا أن نتعامل مع بعضنا بالإنصاف وحسن الظن، فلا يجوز أن تكون منهجية المسلم أن الخطأ أو المخالفة إذا كانت من نفسه أو مشايخه أو حزبه أو جماعته أو مذهبه فإنه يكون مدافِعًا أو منصفًا أو محسنًا الظن، وكأنهم معصومون، وأما إذا كانت من غيرهم كان مُهاجمًا ومُتَّهِمًا ومبالغًا ومسيئًا الظن، ويقدر الأمور بمكيال آخر.

واجبنا أن نحرص على طلب الحق، وقَبولِ الحق، على أي لسان ظهر، وأن نعذر بعضنا في الخلاف، وأن تَتَّسِعَ صدورنا لبعضنا، فلا اتهام ولا تحامُل ولا تعصُّب ولا تخوين في النيات، ولا اتهام بغير دليل.

الخـاتمة

وبعد ما تقدم من تناول أحد مظاهر خيرية الأمة، وهو الاجتماع ونبذ التفرق والخلاف، يمكن جماع أهم ما توصل إليه البحث فيما يلي:

أولا: النتائج

١- خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم، ومن مظاهر هذه الخيرية اجتماعهم ونبذ للتفرق، خلاف ما وقع فيما سبقهم من الأمم.

٢- التفرق على قسمين:

أ- التفرق في الآراء والأديان.

ب- التفرق في الأجساد والأبدان.

٣- جعل الله تعالى التآخي بين المؤمنين وتأليف قلوبهم من نعمه التي امتن بها على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين

٤- عصم الله أمة محمد ﷺ أن تجتمع على ضلالة، كما عصمهم من ضياع الحق بيهم؛ حتى لا يكون له وجود، بل لا بد من قائم بالحق.

٥- من مظاهر اجتماع الأمة وتآلفها: الجُمَع والجماعات، ومناسك الحج، والتي يظهر فيها التوادُّ والتآلف والتآخي الذي بين المؤمنين.

٦- التنازع من أسباب الضعف والهزيمة.

٧- الخلاف شر.

ثانيا: التوصيات

١- أوصي الأئمة والخطباء والكُتَّاب بالعمل على جمع كلمة المسلمين، وتذكريهم بضرورة نبذ التفرق والخلاف.

٢- أوصي نفسي وجميع الأمة بالاجتماع على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وترك التحزُّب، والعودة إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والرعيل الأول من الأمة، وهذه وصية الله تعالى لنا في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

٢- الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، ود سعد بن عبد الله آل حميد، ود هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤- التحرير والتنوير =تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٦- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٧- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٨- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١٢- جمهرة اللغة لأبي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي [المتوفى: ٣٢١هـ]، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

١٣- ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م

١٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

١٥- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ

١٦- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

١٧- صحيح البخاري.

١٨- العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٩- فتح الباري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٠- الفكر الإسلامي الحديث وصِلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي.

٢١- الفوائد، حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ .

٢٢- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

٢٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٤- مباحث في لزوم الجماعة ونبذ الفرقة، د. عبد الرحمن بن عايد بن عوض الله الحربي، نشر: مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد (٦٦).

٢٥- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٢٦- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٧- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٨- مسند الإمام أحمد.

٢٩- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، (ب ت) (ب ط).

٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس [المتوفى: نحو ٧٧٠هـ]، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٣١- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٣٢- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٣٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين [المتوفى: ٣٩٥هـ]، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر:

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣٤- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٣٥- هُموم داعية، محمد الغزالي، ط إدارة إحياء التراث الإسلامي – قطر.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥٨٤
التمهيد ٥٩٠
أولا: تعريف الاجتماع لغة واصطلاحًا ٥٩٠
ثانيا: وفيه تعريف التفرق لغةً واصطلاحًا ٥٩١
ثالثا: الاجتماع والافتراق في الاستعمال القرآني ٥٩٣
المبحث الأول: مظاهر الاجتماع ونبذ التفرق في القرآن والسنة ٥٩٥
المطلب الأول: حاجة الأمة إلى الاجتماع على ما كان عليه السلف الصالح .. ٥٩٥
المطلب الثاني: خيرية الأمة في اجتماعها ٥٩٧
المطلب الثالث: أنواع الاجتماع ٦٠٠
المطلب الرابع: مظاهر الاجتماع في الشريعة الإسلامية ٦٠٤
المبحث الثاني: أسباب التفرق وأضراره ومفاسده ٦٠٦
المطلب الأول: أسباب التفرق والاختلاف ٦٠٦
المطلب الثاني: ضعف الأمة وهزيمتها ٦١٦
المطلب الثالث: سبل ومقومات تحقيق اجتماع ووحدة الأمة ٦١٨
الخاتمة ٦٢٤
المصادر والمراجع ٦٢٥
فهرس المحتويات ٦٣٠